﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤﴾ [النساء: 44]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ذِكْـــرُ تحريف القلب واللِّسان بالتَّدليس، بعد ذِكْـــرِ تحريف اللِّسان بالشُّكْرِ

لمَّا نهى الله ﷻ المؤمنين عن قُربان الصَّلاة، وهم سكارى؛ وكان حال السَّكران داخل في من حرَّف في الصَّلاة بلسانه فقط، لا عن عَمْدِ الكلم عن واضعه؛ أتبعها التَّصريح بالتَّعجيب من حال المُحَرِّفين بالقلب واللِّسان عمدًا وعدوانًا اجتراءً على الله ﷻ، مُلَوِّحًا إليهم بأنَّهم يُريدون لنا الضَّلال عمَّا هُدينا إليه من سُنَنِهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَصِيبٗا﴾، أي: حظًّا، والنَّصيب: الحظُّ المنصوب، أي: المُعَيَّنُ، من نَصَبَ الشَّيء، أي: وَضَعَهُ وَضْعًا نَاتِئًا كنَصْبِ الرُّمح والبناء والحَجَرِ، وجمعه: أَنْصِباءُ، وأصل (نَصَبَ): يَدُلُّ عَلَى إِقَامَةِ شَيْءٍ وَإِهْدَافٍ فِي اسْتِوَاءٍ، وَالنَّصِيبُ: الْحَظُّ مِنَ الشَّيْءِ، يُقَالُ: هَذَا نَصِيبِي، أَيْ: حَظِّي، وَهُوَ مِنْ هَذَا، كَأَنَّهُ الشَّيْءُ الَّذِي رُفِعَ لَكَ وَأَهْدَفَ، والمعنى هنا: الذين أُعطوا حَظًّا من كتاب الله[2].

2) ﴿ٱلضَّلَٰلَةَ﴾: الضَّلال: ضِدُّ الهدَى، يُقَال: ضَلَّ في الأمر إذا لم يَهْتَدِ لَهُ، ورَجُلٌ مُضَلَّل: لَا يُوفَّقُ لِخيرٍ، ويوصَفُ الإنسانُ بالضَّلالِ، فيُقال: هو ضالٌّ، وأصل الضَّلال: ضَياعُ الشَّيْءِ وَذَهابُهُ في غَيْرِ حَقِّهِ، والضَّالُّ ضَرْبَانِ: أحدُهما: مَن سلَك طريق الضَّلالةَ عَنْ عَمْدٍ،

(1) البِقاعي، نظم الدُّرر: 5/289.

(2) الجَوْهَرِيُّ، الصِّحاحُ، والرَّاغِبُ، المُفرداتُ، وابن فارس، مقاييس اللغة: (نصب)، والحِمْيَرِيُّ، شَمْسُ العُلوم: (باب النُّون والصَّاد، النَّصيب)، والكفوي، الكليّات، ص: 906، وابن جرير، جامع البيان: 8/427.

والآخَر: مَن سَلَك طريق الضَّلالة عَنْ غير عَمْدٍ، يَسْتَبْدِلُونَ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى[1]، والمعنى هنا: الضَّلال ضدُّ الهدى.

3) ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾: السَّبيل: الطَّريق، وجَمْعُهُ سُبُل، وأصل سَبَلَ: يدلُّ عَلَى امْتِدَادِ شَيْءٍ، والسَّابلةُ: المختلفةُ في الطُّرُقات للحوائج، والمعنى هنا: سَبِيلُ اللهِ، وهو طريقُ الهدى ومحجَّة الحقِّ[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

التَّعجيب من حال اليهود في استبدالهم الضَّلالة بالهدى وتَمَنِّيهم إضلال غيرهم

ألم تَعْلَمْ - أَيُّها الرَّسُول ﷺ - وتَتَعَجَّبْ من حال اليهود الَّذين آتاهُمُ اللهُ حَظًّا من عِلْمِ التَّوراة، يستبدلون الضَّلال بالهدى، ويَتَمنَّوْنَ لكم - أيُّها المؤمنون المهتدون - أن تَنْحرفوا، وتبعدوا مثلهم عن الحقِّ، وهو صراط اللهِ المستقيم[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ الاستفهام على العِلْمِ بالرُّؤية في مقام الخطاب:

تقرير الرُّؤية في ذهن المخاطب بجعلها في منزلة الشَّيء المُشاهَد مع توبيخ اليهود وفعلهم

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، دخل حرف الاستفهام على النَّفي (لم) وهو استفهامٌ مسُوقٌ لتعجيب[4] المؤمنين من سوء حالهم الَّتي بلغت درجة كبيرة من الشَّناعة[5].

وهذا التَّعجيب مع ما يُوحي به من التَّوبيخ، والاستقباح ناشئ عن تقرير الرُّؤية الواقعة في حيِّز الاستفهام، فدَلالة هذا الاستفهام أصلًا هي التَّقرير بالنِّسبة إلى المخاطب ﷺ ومن يَصِحُّ خطابه، أمَّا التَّوبيخ وما أشبهه؛ فهذا بالنَّظر إلى المُتَحدَّث عَنهم، وهم اليهود[6].

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس: مقاييس اللُّغة: (ضَلَّ)، وابن دُرَيْد، جمهرة اللُّغة: (ضلل)، والهرويّ، الغَرِيبَيْنِ في القرآن والحديث: 4/1137، والرازي، مفاتيح الغيب: 10/91.

(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهريُّ، الصِّحاح، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (سبل - سنبل)، وابن جرير، جامع البيان: 8/429.

(3) لَجْنَةٌ مِنْ عُلَماءِ الْأَزْهَرِ، الْمُنْتَخَبُ فِي تَفْسِيرِ القُرآنِ الكَرِيمِ، ص: 116، ونُخْبَةٌ مِنْ أَساتِذَةِ التَّفْسِيرِ، التَّفْسِيرُ الْمُيَسَّرُ، ص: 85، وجَماعَةٌ مِنْ عُلَماءِ التَّفْسِيرِ، المُخْتَصَرُ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، ص: 85.

(4) التَّعجيب حمل المُخاطب على التَّعجب، وإيقاعه في التَّعجُّب منه.

(5) أبو السُّعود: إرشاد العقل السَّليم: 2/181.

(6) تفسير أبي السُّعود: 2/194.

ذكرَ الرَّازيُّ أنَّ العلمَ اليقينيَّ يشبه الرُّؤية، فيجوز جعل الاستفهام عن الرُّؤية في الآية استعارةً عن مثل هذا العلم، والمعنى: ألم ينتهِ علمك إلى هؤلاء؟[1]

في الاستفهام بالرُّؤية وجه استعارةٍ عن العِلْم اليقينيّ:

بلاغة تعدية الفعل (رأى) بـ ﴿إِلَىٰ﴾:

معنى الآية: ألم تر بقلبك - يا محمَّد - عِلْمًا[2]، و(رأى) هنا عِلْمِيَّةٌ وضُمِّنت معنى ما يتعدَّى بـ (إلى)، فلذلك لم يتعدَّ الحرف إلى مفعولين، وكأنَّه قيل: ألم ينته علمك إلى كذا؟ وتكون الإجابة بالإثبات في هذا المقام، أي: بلى رَأَيْتُ، والخطاب لكلِّ من يتأتَّى منه الرُّؤية من المؤمنين[3]، و(رأى) يتعدَّى بنفسه دون الجارِّ، لكن لمَّا استعير قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ لمعنى: أَلَمْ تَنْظُر؛ عُدِّي تعديته، وقلَّما يُستعمل ذلك في غير التَّقرير، فَضِمَنَ العامل معنى: يُناسب التَّعدِّي بـ (إلى)، وقد تكرَّر هذا الأسلوب في سورة النِّساء في خمسة مواضع، واستعمال ﴿إِلَىٰ﴾ هُنا يتناسب معنويًا مع عمق الرُّؤية التَّعجُّبيَّة حتَّى تَصِلَ بالمخاطَب إلى أقصى الغايات، وهو من باب التَّشهير بهؤلاء المُتَعَجَّبِ من حالهم، فَجُعِلوا عبرةً لكلِّ مُتَّعِظٍ وذلك؛ لأنَّ (رأيت) إذا عُدِّيَ بـ (إلى) أفاد معنى: النَّظَرِ المؤدِّي إلى الاعتبار[4]، فتعدَّت تعديتها للإشارة إلى أنَّ هذا الأمر قد بلغ من الوضوح والظُّهور والتَّحقُّق مَبْلَغَ الشَّيء المحسوس المُشاهد الَّذي تُبصرُه العينان، ولا يُمكن إنكارُه[5].

استعمال (إلى) يتناسب مع عمق الرُّؤية التَّعجُّبيَّة تشهيرًا بالمُتَعَجَّبِ من حالهم

سِرُّ الإطناب بوصف علماء اليهود:

جاء الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وصِلَتُهُ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ على هذا التَّركيب الطَّويل في وصف علماء اليهود تأكيدًا

تأكيد التَّعجيب من حال من أوتي الكتاب، ولم يهتدِ به

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 10/91.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 8/427.
(3) أبو السُّعود: إرشاد العقل السَّليم: 2/181، والآلوسي: روح المعاني: 3/44.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 2/560، وخديجة بناني، سورة النِّساء دراسة بلاغيَّة تحليليَّة: 1/186.
(5) محمَّد رشيد رضا، تفسير المنار: 2/475.

للتَّعجُّبِ مِنْ حَالِهم؛ إذ كان ينبغِي لِمَن أوتِيَ نَصيبًا من الكتاب؛ ألَّا يفعل ما ذُكِرَ، مع ما بيَّن لهم في ذلك الكتاب من الأحكام والعلوم الَّتي من جملتها ما علموه من نعت النَّبيِّ ﷺ[1].

علَّةُ تقييد الصِّلة بالنَّكرة:

في تقييدِ الصِّلة بالنَّكرة (نصيبًا) تهويـنٌ لشأنِ علمائهم

في تقييد الصِّلَة بإيتاء (نصيب من الكتاب)، وهو هنا - التَّوْرَاة - لاخْتصَاصه بعُلمائهم[2]، وجاءت لفظة ﴿نَصِيبًا﴾ مُنكَّرة لإفادة النَّوعيَّة، لا للتَّعظيم؛ لأنَّ المقام مقامُ تهاون بِهِمْ[3]؛ " لأنَّهم لم يأخذوا الكتاب كلَّه، بل تركوا كثيرًا من أحكامه، لم يعملوا بها، وزادوا عليها، والزِّيادة فيه كالنَّقص منه"[4].

دلالةُ الفَصْل بعد الوصف بإيتاء الكتاب:

في الاستئنافِ تنبيهٌ على شناعة فعْلِهم وقُبْحِهِ، وفقدانهم بوصلة اتِّباع الحقِّ

لَمَّا ابتدأت هذه الآية بالاستفهام التَّقريريِّ الَّذي يُقصد به التَّعجُّب من شأن أهل الكتاب، فكأنَّه قيل: ما شأن هؤلاء الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب؟ وماذا يفعلون؟ فقال: ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾، فهو استئناف مُبَيِّنٌ لمناط التَّشنيع ومدار التَّعجيب المفهومين من صدر الكلام[5]، ويكون الغرضُ البلاغيُّ لهذا الفصل التَّنبيهَ على شناعة فعلهم؛ إذ المَرْجُوُّ ممَّن أوتي نصيبًا من الكتاب أن يهتدي به، وأن يبحث عن الحقِّ، ويَتَّبِعَهُ، لا أن يَطلب الضَّلالة، ويدعو إليها.

فائدة حذف شِبْه الجُملة:

حصر الاهتمام في شراء الضَّلالة كونها وسيلتهم في إضلال غيرهم

المُشترى به في قوله تعالى: ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾، محذوفٌ، أي: بالهدى، كما صرّح به في مواضع[6]، مثل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾

(1) الآلوسي، روح المعاني: 3/44.
(2) القونْويُّ، حاشيةُ القونْويِّ على البَيْضاويّ: 7/186.
(3) ابنُ عاشور، التّحرير والتّنْوير: 3/209.
(4) رضا، تفسير المنار: 5/112.
(5) أبو السُّعود: إرشاد العقل السَّليم: 2/181، والآلوسي: روح المعاني: 3/44.
(6) السَّمين الحَلبيُّ، الدُّرُّ المصون: 3/693.

[البقرة: 16]، ولَعَلَّ عِلَّةَ الحذف في الآية - موضع الدِّراسة - هو حصر الاهتمام في شراء الضَّلالة؛ لأنَّها وسيلتُهم النَّاجعةُ في محاولة إضلال غيرهم بدليل قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ تنبيهًا للمُخاطَبين على سُوء نِيَّات عدُوِّهم ووسائله الخبيثة[1].

من يعتادُ الباطلَ سلوكًا؛ يصبح الضَّلال مطلبه، ومبتغاه

في ذكر المطلوب: وهو الضَّلالة من غير ذكر المتروك: وهو الهدى، أو ذكر المبيع من غير ذكر الثَّمن، ما يدلُّ على أنَّهم يطلبون الضَّلالة في ذاتها، فالبعد عن الحقِّ مطلبٌ لهم وغاية؛ لأنَّهم مَرَدُوا على الباطل لا يستمرئون غيره، ولا يبتغون سواه"[2].

سرُّ استعارة لفظ الاشتراء:

تصويرُ سخافة عقولهم وسوء اختيارهم في صورة السَّاعي لطلب السلعة الرَّديئة؛ مبالغة في ذمِّهم

قولُه: ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾، أي: يستبدلونها بالهُدى، والضَّلالة هي البقاء على اليهوديَّة بعد وضوح الآيات لهم على صحَّة نبوَّة رسول الله - صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[3] - وإنَّه هو النَّبيُّ العربيُّ المُبَشَّرُ به في التَّوراة والإنجيل، فشبَّه فعلهم هذا بالاشتراء على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، بجامع الرَّغبة؛ مُبالغةً في وضوح إصرارهم على الضَّلالة، وتَعَمُّدِهم اختيارها، مع علمهم التَّامِّ بنقيضها، وفيه من التَّسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صوَّرت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه أحدٌ ممَّن له أدنى تمييز، والاشتراء مجازٌ في الاختيار والسَّعي لتحصيل الشَّيء؛ لأنَّ المشتري هو آخذ الشَّيءِ المرغوب فيه من المُتَبَايِعَيْن[4].

دلالة الوصل بين الجُمْلتَيْنِ:

رَبَطَ أسلوب القرآن الرَّائع بين قوله تعالى: ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾،

(1) خديجة بناني، سورة النِّساء دراسة بلاغيَّة تحليليَّة: 21/243.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/1699.
(3) الزَّمَخْشري، الكشَّاف: 1/515.
(4) أبو السّعود، إرشادُ العَقْل السّليم: 2/182، وابن عاشور: التَّحرير والتَّنوير: 5/72.

التَّشنيع على اليهود والتَّعجُّب من حالهم في جمعهم الضَّلال، والإضلال

وقوله: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ بواو العطف، والمعطوف شريكٌ للمعطوف عليه فيما سبق له، في بيان محلِّ التشنيعِ والتَّعجُّبِ، والمعنى: أنَّهم لا يكتفون بضلال أنفسهم، بل يريدون بما فعلوا من تكذيب النَّبيِّ ﷺ وكتم نعوته النَّاطقة بها التَّوراة أن تكونوا - أنتم أيضًا - ضالِّين الطَّريق المستقيم الموصل إلى الحقِّ، ففي هذا الوصل تنبيهٌ لاتِّصافهم بالجمع بين الضَّلال والإضلال، ولا أسوأ ولا أقبح مِمَّن جَمَعَ بينهما[1].

سِرُّ التَّعبير عن أفعال اليهود بالمضارع ضلالًا وإضلالًا:

استمرار اليهود على الضَّلال والإضلال تشنيعٌ عليهم

صيغةُ المضارعِ في ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾، و﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾، للدِّلالة على الاستمرار التَّجدُّديِّ، فإنَّ تَجَدُّدَ حُكمِ اشترائِهم المذكورِ وتَكَرُّرَ العملِ بموجبه في قوَّة تجدُّدِ نفسِه وتكرُّرِه، وفي ذلك أيضًا من التَّشنيع ما لا يَخْفى[2]، ورسَّخ شدَّة طلبهم للإضلال بالعدول من المصدر الصَّريح إلى المصدر المؤوَّل: ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾.

دلالة (ال) التَّعريف في ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾:

صراط العزيز الحميد معروفٌ، ولا يوصلُ إلى الحقِّ سبيلٌ غيره

(الـ) في لفظ ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ عهديَّة، وليست للاستغراق، فالسَّبيل الحقُّ معروف بيِّن لا عوج فيه، وهو وحده الموصل إلى الحقِّ، لأنَّه الطَّريق المستقيم، ولأنَّه صراط العزيز الحميد"[3].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

النَّصِيب والحظّ:

النَّصيب: هو الحظُّ، والقسْمُ من كُلِّ شيء[4]، فيكون النَّصيب في المحبوب والمكروه، يُقال: وفَّاه اللّه نصِيبه من النَّعيم أو من العذاب،

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 10/91.
(2) تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم: 2/182، وتفسير الآلوسي، روح المعاني: 3/45.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/1699.
(4) ابن مَنْظورٍ، لِسَانُ العَرَبِ، والزَّبيديُّ، تاجُ العَروس: (نصب).

والحظُّ: هو النَّصيبُ المُقَدَّرُ من الفضل والخيْر[1]، فلا يُقال: حظُّه من العذاب إلَّا على استعارة بعيدة؛ لأنَّ أصل الحظِّ: هو ما يحظه الله تعالى للعبد من الخير، والنَّصيب: ما نصب للعبد لِينالَه، سواء أكان محبوبًا أم مكروهًا، ولهذا كان الحظُّ اسمًا لما يرتفع به المحظوظ، فيُذكر على جهة المدح، فيُقال: لفُلانٍ حظٌّ، وهو محظوظ، وفي التَّنزيل: ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القَصَص: 79]، والنَّصيبُ: ما يُصيب الإنْسَانَ من مُقاسمةٍ، سواء ارْتَفع به شأنه أم لا، ولهذا يُقال: لفُلان حَظٌّ في التِّجارة، ولا يُقال: له نصيب فيها؛ لأنَّ الرِّبحَ الَّذي يَنالهُ فيها ليس عن مُقاسَمَةٍ[2]، وسياق الآية حديثٌ عن ضلالة، وإضلال؛ فناسبَهُ لفظ النَّصيب.

الحظُّ: نصيبٌ مُقَدَّرٌ مِنَ الفَضْل والخيْر، والنَّصيب: يَعُمُّ المحبوبَ وَالمَكْرُوهَ

الضَّلال والغواية:

الضَّلال: فقدان ما يُوصِلُ إلى المطلوب، وقيل: هو سلوك طريق لا يُوصل إلى المطلوب[3]، وكل عدُول عَن النَّهج عمدًا أو سَهوًا قَليلًا كَانَ أو كثيرًا[4]؛ فَهُوَ ضلال، وفي باب الحقِّ والباطل يكون الضَّلال عدولًا عن الطَّريق المستقيم[5]، وقد يكون عن قصد أو عن غير قَصْدٍ: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: 23]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: 104]، أمَّا الغواية؛ فهي جهل من اعتقادٍ فاسد[6]، فلَا يكون للغاوي مَقْصِدٌ إلى الطَّريق المُسْتَقيم[7]، والغواية أيضًا: إمعان في الضَّلال، كما أنَّ الضَّلال عامٌّ[8] يكون للعاقل وغيره، فيُقال: ضلَّت الدَّابَّة، ولا يُقال:

الضَّلال: عامٌّ، وهو فقدان الطَّريق الموصل، والغواية: العدول عن الطَّريق القويم تَقَصُّدًا

(1) الخليل، العين: (حظظ)، والأزهري، تهذيب اللغة: (حظ).
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 165.
(3) الجرجاني: التَّعريفات، ص: 138.
(4) الكفويُّ، الكليات، ص: 567.
(5) المناويُّ: التوقيف، ص: 223.
(6) الرَّاغب، المفردات: (غوى).
(7) الكفويُّ، الكليات، ص: 576.
(8) النَّيسابوريُّ، غرائب القرآن: 6/199.

غوت الدَّابَّة، أمَّا الغواية؛ فهي للعاقل المُكلَّف، والضَّلال نقيضُ الهُدى، قال الله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: 8] وقال: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩﴾ [طه: 79]، والغِوايَةُ: نقيض الرُّشْدِ، قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا﴾ [الأعراف: 146] وقال: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة: 256].

فالضَّلال: أعمُّ، وهو ألَّا يَجِدَ السَّالك إلى مقصده طريقًا أصلًا، والغِواية: ألَّا يكون له إلى المَقْصَدِ طريقٌ مستقيم[1]، وهي اللَّفظة المناسبة لقوَّة سعي الشَّيطان في الآية، ومبتغاه من الوسوسة، وهو فقدان الوجْهة، وضياع السَّبيل إلى المقصد.

الطَّريق والسّبيل والصِّراط:

الطَّريقُ: هو كُلُّ ما يطرُقُهُ الطَّارق من النَّاس، مُعْتادًا كانَ أو غَيْرَ مُعْتادٍ[2]، قال تعالى: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧﴾ [طه: 77]، أمَّا السَّبيلُ؛ فهُوَ الطَّريقُ السَّهْلُ؛ وأَغْلَبُ ما يقع في الخيْرِ، وقَدْ يَقَعُ في الشَّرّ، كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥﴾، [الأنعام: 55]، أمَّا الصِّراطُ: فَهُوَ السَّبيلُ الَّذي لا اعْوِجاجَ فيهِ ولا الْتِواءَ.

الطَّريق: ما يُسلَكُ، والسَّبيلُ: أَسْهَلُهُ، والصِّراطُ: أَقْوَمُهُ

فَالفرقُ بين الطَّريقِ والسّبيلِ: أَنَّ الطَّريقَ لَا يقتضي السُّهولةَ واعتيادَ السُّلوكِ[3]، أمَّا السَّبيلُ مِنَ الطُّرُقِ؛ فهو السَّهْلُ المُعتاد، والفرقُ بين السَّبيلِ والصِّراطِ: أَنَّ الصِّراط: لا اعوِجاجَ فيهِ[4]، قالَ الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: 161]، فالصِّراطُ: أَخَصُّ مِنَ السَّبيلِ، قال تَعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي

(1) النَّيسابوريُّ، غرائب القرآن: 6/199، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: 2/1119.
(2) الكفوي، الكُلِّيات، ص: 513.
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 298.
(4) الكفوي، الكُلِّيات، ص: 513.

مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: 153]، والسَّبيلُ: أَخَصُّ مِنَ الطَّريقِ[1]، وقد يطلق كُلٌّ منها على الآخَرِ توسُّعًا.

وغاية جهد الشَّيطان، ومنتهى مقصده: الإضلال عن الوجهة اليسيرة، والزيغ عن الدَّرب السَّهل الواضح البيِّن؛ لأنَّ من لا يقاوم وساوسه في اليسير من الأمور؛ يصعب عليه عسيره، وهذا مبلغ قوَّته، وسعة تمكُّنه في الإضلال؛ ولذلك اخْتيرَ لفظ ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ الدَّال على الطَّريق السَّهْل المُعتاد.

(1) المناوي، التوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 215.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»